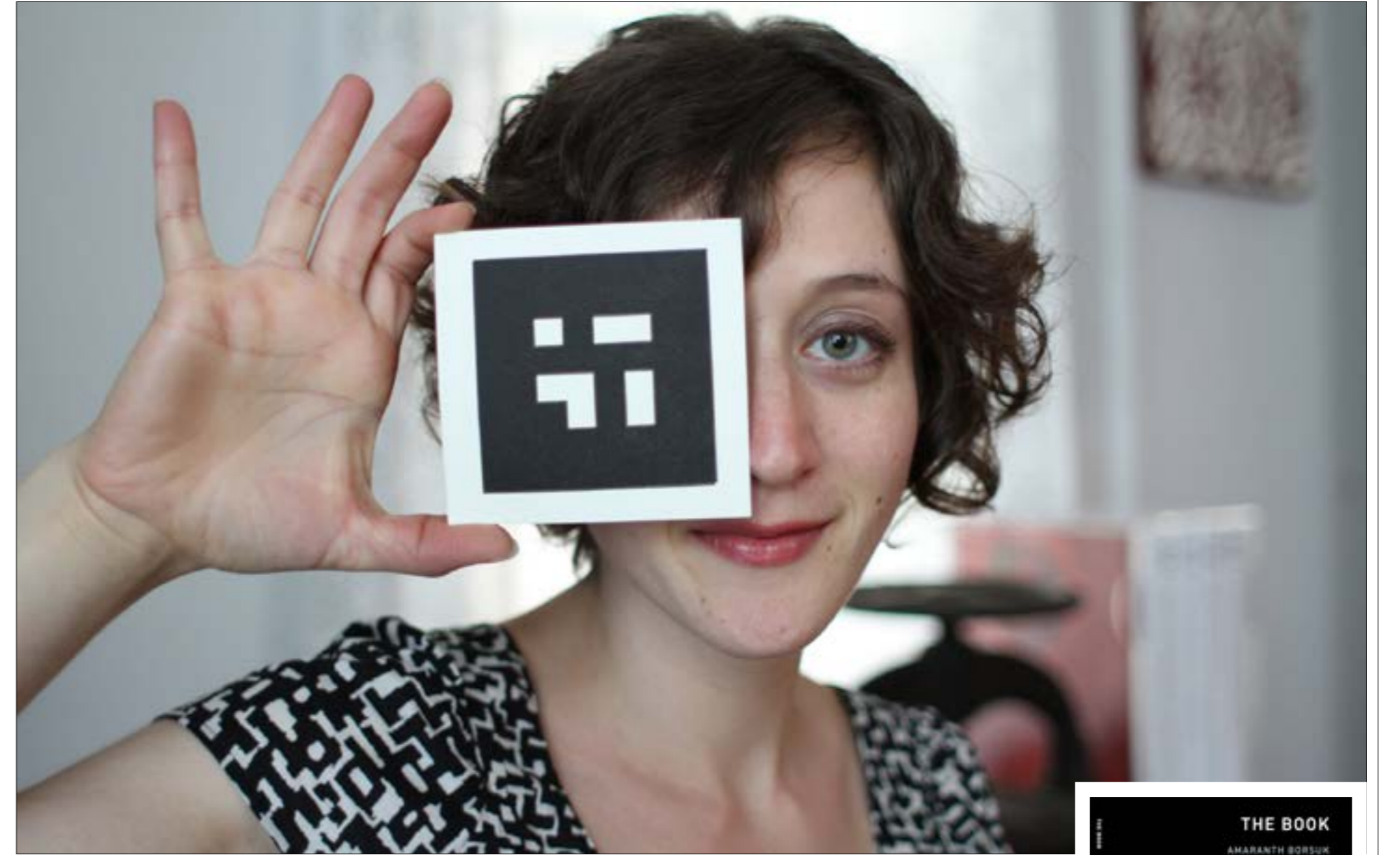


zoom

عمله فذّ يقدم تجارب قراءة ديناميكية

أمارانت بورسوك: قليلك من الخيال يعيد زمن «الكتاب»



المؤلفة شاعرة وفنانة واستاذة مساعدة في كلية الفنون والعلوم في جامعة واشنطن

سيقضي على نظيره الورقي، وهو ما حصل أخيراً في بلاد الغرب عندما تجاوزت مبيعات النسخ الرقمية تلك الورقية. لكن الأمر كان عابراً وعادت الأخيرة لتصدر المبيعات في الغرب. تجربتي مع الكتاب الرقمي، استمرت سنين عديدة بالتعاون مع شركة لبتانية، لكنها لم تستمر بسبب إغراض الفارئ العربي عن الإصدارات الرقمية لأسباب ليس هنا مجال ذكرها.

كما كانت لنا في «فُدْمس» تجربة فريدة مع شركة «صخر» الكويتية عندما اقترح عليّ صاحبها الأخ العزيز محمد الشارخ وضع إصداراتنا على موقع مرتبط بشركته، للقرأة مجاناً. خضنا التجربة معه سنين عديدة وتبين لنا أن مبيعاتنا ازدادت بعد ذلك، إذ تسنى للفارئ العربي الاطلاع على محتوى المؤلفات التي تهمة ومستواها وما إلى ذلك.

رغمًا يتساءل سائل: ما الكتاب في عصرنا الرقمي؟ هل هو غرض معيّا بين غلافين، أم جهاز محمول يمنحنا مقدرة الدخول إلى محتويات؟

على أي حال، الكاتبة أمارانث بورسوك وهي شاعرة وفنانة وكاتبة واستاذة مساعدة في كلية الفنون والعلوم في جامعة واشنطن ومدوّسة الكتابة الإبداعية والشعر في كلية الفنون الجميلة، تتناول الكتاب من زوايا عديدة، ربما لم تحظر لأحد من قبل. تقول: «وجب النظر إلى الكتاب على أنه موضوع أو غرض object، ومحتوى content وسطح بيئي interface».

مبادئ الكتاب كانت حوالى عام 150 ت.س، عندما ظهر على النحو القياسي الذي نعرفه، أي صفحات مجلدة. لكن قبل ذلك، ظهرت مكتبات كاملة ومنها العائدة إلى البابليين والآشوريين، وكذلك إلى إيبلا وأوغاريت وغيرها من الحضارات. مكتبات تلك المدن/ الدول، والنول ظهرت لنا على هيئة لوحات طينية كتبت

عليها نصوص. يضاف إلى ذلك اللغائف scrolls، فهل يمكن عد تلك الآثار كتباً، بالمعنى القياسي الذي نعرفه؟ والمصريون أنتجوا أوراق البردي فكتبوا عليها، لكن من دون أن تكون مجلدة. لذلك، فإن الكاتبة تستعرض الكتاب من زوايا عديدة، وكذلك ارتباط بعضها ببعض، في الشكل والمحتوى ضمن إطار نظوره. وهي بالتالي تربط بين تاريخ الكتاب وفنون الكتاب والكتاب الرقمي.

توضح أن المصطلح «كتاب» يشير عادة إلى الوسيط (medium) والمحتوى، وهو مصطلح لين ومطواع، أخذة في الاعتبار تطوره تاريخياً. وترى الكاتبة أن هذا التطور، منذ البدايات حتى الكتاب الرقمي، يوضح على نحو جلي أن شكله المادي تغير عبر التاريخ، وهذا يعني ضرورة النظر إلى الأشكال الحالية على أنها استكمال

تجاهل الإمكانيات المتميزة لوسائل الإعلام الرقمية في عملية قراءة الكتاب

للأشكال السابقة ولا تعني انقطاعاً بينها. فمؤهلات الكتابة الأكاديمية والفنية الإبداعية منحها القدرة على التعامل مع مادة المؤلف من منظورات عديدة. وفق المؤلف، وجب وضعه ضمن إطار القناعة دائمة التغيير، ما دفع فناني القرنين العشرين والحادي والعشرين إلى النظر إليه من زوايا مختلفة، وبالتالي أجبروا على إعادة النظر في تعريفنا للكتاب ووضع بديل جديد على نحو دائم. كون الكاتبة مبدعة فنية، فإن المؤلف يتعامل أيضاً مع أسئلة عديدة ذات صلة منها: ما فن الكتاب؟ وما كتاب الفنان؟ وتذكر العديد من الكُتّاب الذين تعاملوا مع هذا الموضوع في القرن الماضي.



الكتاب المصبيح

عمدت الكاتبة إلى دراسة أصول كلمتي «صفحة» و«شاشة» وتبين لها أنهما ترتبطان في الواقع بالعديد من الصلات الكامنة بعمق في اسميهما، رغم التعارض الظاهري بينهما. لكن الاكتشاف الأكبر هو معرفة مدى الطابع الأدائي الذي يتسم به فعل القراءة. إذ أدركت أن الفارئ هو من يصوغ الكتاب، لكن مدى ظهور معنى المصطلح لحظة لقائنا به مادياً؛ لم يتضح لها تماماً إلى أن رات جسدها على الشاشة تحمل كتاباً مفتوحاً وتقرأ نصاً يظل ثابتاً فقط طالما ظلت تحمل صفحاته بين يديها. لقد غيّرت رؤيتها لتفاعل القراء الآخرين مع كتابها Between Page and Screen أسلوب مقارنتها للكتابة تغييراً جذرياً، وصارت تكتب أخذة في الاعتبار جذب الفارئ والرغبة في وضع في الواجهة الخصائص المادية للسطح البيئي الذي تمثله القراءة، التي غالباً ما تعتبر أمراً بديهياً.

برأي الكاتبة، ينبغي لك «المعرفة الأساس» لكتاب ما، أن تفسر تفاعل الشكل والمضمون الذي نحصل في كل مرة نقرأ فيها؛ سواء كنا ننظر إلى كتاب للصلوات الخاصة بكل ساعة، يعود إلى القرن الخامس عشر، أو إلى كتاب ذي غلاف ورقي مصنوع من عجينة الورق. لذلك، فكي نفهم كتاباً ما، علينا أن نضع في الحسبان أنه كان قد اتخذ أشكالاً عديدة قبل ظهور المخطوط التي تُعد مالوفة لنا، وأن علاقتنا به قد جرى تكيفها وتسلبها، لدرجة أننا لم نعد نرى فيه أي سمة مادية على الإطلاق.

وكي نعرف ماهية الكُتب ونذكر لي أين يتجه مسارها، علينا -دوماً وفق الكاتبة- العودة لرؤية جسد الكتاب ثانية، ونفكر في الأساليب التي تظل بها حتى السطوح البيئية الخاصة بالقراءة الرقمية، ماديةً ومحسّنةً وتقدم أداءً؛ أي أنها تصوغنا بقدر ما نصوغها.

ما مقدار الدقة التي يمكن أن نتوصل إليها لدى وضع تعريف وإف عملياً للكتاب؟ هل يمكن ذلك مثلاً من خلال التمييز المؤقت بين الكتاب، بما هو فكرة مجردة، ونسخ من كتاب محدد بما هي موضوعات متفرقة في العالم، و/أو من خلال فهرسة بعض خصائص الكتاب أو وظائفه النموذجية (ولنقل، تخزيناً جيداً للمعلومات واسترجاعاً سهلاً للمعلومات، و/أو عن طريق تقديم عرض موجز للكيفية التي تساعد بها منظومة الكتاب الظاهرية/العلائقية/المعرفية/الفلسفية) وتلك الخاصة ببعض الأشكال الملحة للتعبير/التفكير البشري تبعاً لتركيب إمكانيات الكتاب؟ هل يمكن إعطاء الغول الفصل حول الكيفية التي يصوّر بها «الكتاب» الكتاب؟

تقول الكاتبة: أولاً وقبل أي شيء، تسلّم هذه الدراسة بالطبيعية الزنبقية لكلمة كتاب،

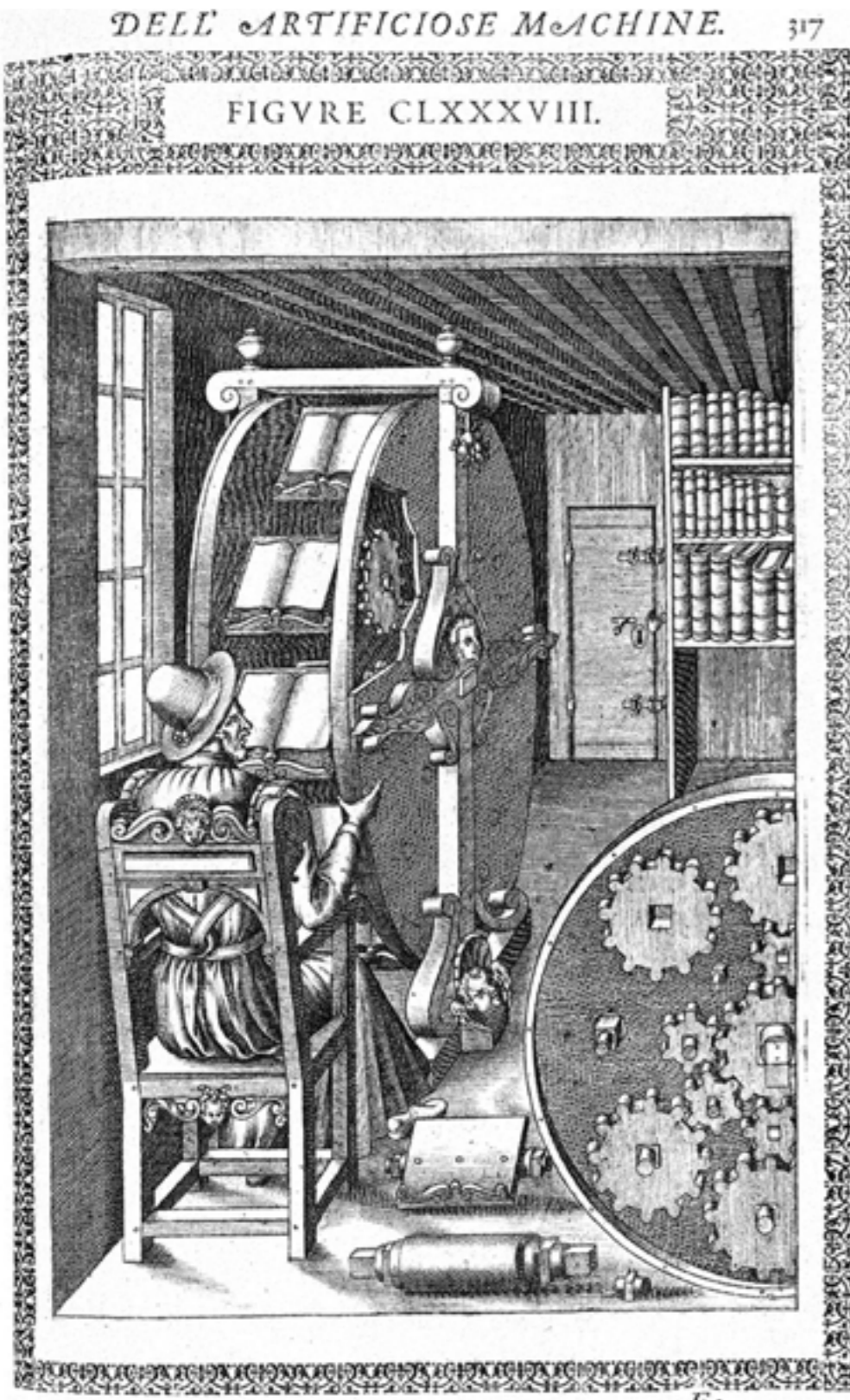
التي يستخدمها معظمنا لوصف الموضوع والمضمون. عندما يسأل أحدهم إن كان قد قرأ كتاباً ما، فإننا لا نعني نسخة بعينها، بل النص نفسه. عملية تقرير ماهية الكتاب، استغرقت من الكاتبة أربعة فصول تتعمّق هذه العملية سردية فضفاضة تتضمن: أولاً، الغوص في تاريخ تغير أشكال الكتاب السابقة لظهور المخطوط. ثانياً، دراسة الأساليب التي فصلت بها عملية مكثنة الكتاب بين الشكل والمضمون. ثالثاً، سرد الأساليب التي اشعل بها هذا التحول ثورة في صفوف الشعراء والفنانين في القرن العشرين، الذين بدأوا ينفذون أعمالاً فنية تأخذ شكل كتاب أعمال جذبت الانتباه إلى الخصائص المادية للكتاب، التي تشير إلى وظيفته، واستغلت تلك الخصائص. رابعاً، الالتفات إلى الكيفية التي جعلت بها عملية الترقيم الجماهيرية، جسد الكتاب بختفي ويعاود الظهور في ذات الوقت، عن طريق إسباغ معنى حرقياً على مفهوم السطح البيئي للقراءة (كانت الكتب دائماً سطوحاً بيئية، لكننا تكيفنا معها وتكثفت هي معنا بسرعة، مع أننا ننسى هذه الحقيقة). هذه هي البنية ذات الفصول الأربعة التي قدم بها «الكتاب».

تذكر الكاتبة بقول ديك هغنز، الناشر والعضو في «حركة تجعق الفنانين» Fluxus: «يمكن للأعمال الفنية التي تأخذ شكل كتاب أن تكون موسيقى أو تصويراً ضوئياً أو فناً تصويرياً أو أدبياً وتعتمد على وسائل إعلام تجربة قراءة العمل. رؤيته، تاطيره؛ هذا ما يؤكده الفنان عندما يبدعه. تعجبني الطريقة التي يذكروا بها هذا التعريف بأن الكتاب هو مناسبة، هو تجربة. هو أداء، وليس شيئاً جامداً. إنه ليس مجرد نص يمنحه المؤلف للفارئ (وربما كان كذلك في كثير من الأحيان)».

ننهي عرضنا هذا المؤلف الإبداعي الفذ بذكر رأي المؤلف في الكتب الرقمية. إذ تقول: «معظم ناشري الكتب الإلكترونية حالياً يرون الكتاب بهذه الصورة: بوصفه «مضموناً» ينبغي تقديمه من خلال أجهزة، لا تجربة ينبغي للفارئ خوضها. وهم بذلك يتخلون عن التصميم لصالح النص الذي يمكن أن ينساب على نحو سهل المثال إلى أي سطح بيئي، ويتجاهلون الإمكانيات المتميزة لوسائل الإعلام الرقمية (الصوت والرسوم المتحركة واللمسة وتحديد الموقع الجغرافي، التي يمكن استخدامها جميعاً لخلق تجارب قراءة ديناميكية). وإذا كان «الكتاب» يقدم نوعاً ما من «الدفع»، فهو يدفع إلى اهتمام مركّز بما يمكن لهذه الوسيلة القيام بها، وكيف يمكن لها صياغة رواية القصص. في الفصل الأخير، أقدم بعض مصممي برامج الهاتف النقال الذين تبنوا ميزات الأجهزة اللوحية لخلق تجارب قراءة جميلة وجديدة بحق. النوع الذي أطلع لرؤية المزيد منه».



ما قبل الكتاب القياسي



القراءة الكئيبة